البنية العمرانية لمدينة تيديس الأثرية خلال الحقبة الرومانية

دة./ بوغرة غنية

أستاذة محاضرة ب/ جامعة عبد الحميد مهري- قسنطينة2

g.bougherra@hotmail.fr

الملخص:

لقد شهد موقع تيديس منذ أن تم التعرف على آثاره القديمة خلال منتصف القرن 19م اهتماما كبيرا من طرف الدوائر العلمية التاريخية والأثرية أثناء الحقبة الاستعمارية، لتستمر تلك الجهود الهادفة للكشف عن بقايا المدينة القديمة إلى غاية النصف الثاني من القرن 20، حين شرع في أعمال البحث والتنقيب الأثري المنظم تحت إشراف السيد أندري برثيي ابتداء من سنة 1941 وإلى غاية بداية السّبعينات، كان الهدف منها التوصل إلى وضع مخطط عام للمدينة الأثرية المخفية تحت الأرض، فكانت النتيجة هي استخراج جميع المعالم البارزة المكونة لهذا الموقع الأثري المتميّز، وعليه فقد أثبت هذا الكشف الأثري الغير مسبوق بأن تيديس وعبر تاريخها الطويل قد مرت بفترات حضارية عديدة أثرت على تغيير وضعيتها ومخططها العمراني، ومن ضمنها المدينة الرومانية التي بنيت خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين الأول والثاني ميلاديين، وذلك على أنقاض المدينة النّوميدية القديمة التي عرفت تغييرا كبيرا في الفترة الرومانية، حينما خضعت لتخطيط جديد اتبعت فيه أسس ومناهج بناء المدن الرومانية، ومع ذلك فإن مدينة تيديس ظلت محافظة على طابع عمراني خاص يميزها عن بقية المدن القديمة الأخرى، فمظهرها الروماني لم يلغ إطلاقا شكل المدينة العام الذي حافظ على طبيعة الموقع المتميز بوعورة التضاريس وكثرة المنحدرات، وبقاء عناصر معمارية تعود لحقب زمنية سابقة للفترة الرومانية وأخرى لاحقة لها تعود للعهد الإسلامي.

وعليه فسنحاول من خلال هذه المداخلة تركيز الحديث عن المعالم العمرانية التي لا تزال قائمة في موقع تيديس وتحديدا تلك التي ترجع للفترة الرومانية والتي تشكل أغلب ما تبقى من بنيتها العمرانية القديمة.

الكلمات المفتاحية: تيديس؛ المخطط العمراني الروماني؛ صعوبة التضاريس؛ الفوروم؛ الكاردو؛ الديكومانوس؛ الأقواس؛ المعابد؛ مرافق المياه؛ الحمامات؛ المقابر؛ لوليوس أوربيكوس.

Résumé:

Depuis la découverte de ses ruines antiques au milieu du 19e siècle, le site de Tiddis a suscité un grand intérêt de la part des milieux scientifiques historiques et archéologiques à l'époque coloniale. Ces efforts visant à découvrir les vestiges de la ville antique se sont poursuivis jusqu'au seconde moitié du 20e siècle, alors que des fouilles organisée sont commencées sous la direction du M. André Berthier en 1941 et se perpétuaient jusqu'au début des années soixante, ces recherches avaient pour but d'établir un plan général de la cité cachée sous le sol, Il est précédé que Tiddis, et tout au long de sa longue histoire, a connu de nombreuses périodes de différentes civilisations qui ont affecté le changement de son statut et de son plan urbain, y compris la ville romaine, qui a été construite pendant la période comprise entre le premier et le deuxième siècle de notre ère, sur les ruines de l'ancienne ville numide, qui a connu un grand changement à l'époque romaine, lorsqu'elle a été soumise à une nouvelle planification respectant les méthodes de la construction romaine, mais sont aspect romain n'a pas annulé la forme générale de la ville, qui a conservé la spécificité du site, qui se distingue par le relief accidenté et les nombreuses pentes, et la survivance des éléments architecturaux remontant aux périodes pré-romaines et d'autres remontant à l'ère islamique.En conséquence, nous essaierons à travers cette intervention, de nous concentrer sur les monuments urbains qui existent encore à

Tiddis, en particulier ceux datant de l'époque romaine, qui constituent l'essentiel du reste de sa structure urbaine antique.

Mots- clés: Tiddis,les reliefs ,l'urbanisme romain, forum, cardo, decumanus,les arcs, les temples, les nécropoles,les installations d'eau,les thermes, Lollius Urbicus,

مقدمة:

يشير معظم الباحثين المعاصرين بأن افريقيا قد شهدت خلال الفترة الرومانية تزايد ديموغرافيا معتبرا خاصة في عهد الأنطونيين والسيفيريين والذي يتوافق مع القرنين 2 و3م الذين تميزا بحركتي توسع استيطاني واستغلال اقتصادي مكثف ، حيث بلغ ذلك التزايد أشده خلال القرن الثالث ميلادي في المناطق الحضرية، وقد انعكس ذلك بشكل ايجابي على حركية البناء والتعمير التي تزايدت بدورها وأدت إلى إنشاء العديد من المدن وفق النموذج الروماني، وهو ما ينطبق على كثير من المدن سواء الساحلية منها أو الداخلية على غرار تيمقاد وكويكول التي توسعت بفضل تشييد مرافق للتسلية واللهو بالإضافة إلى المرافق العامة كالمعابد والحمامات وخزانات المياه وغيرها.[1]

ولم تقتصر هذه الظاهرة على المدن الكبرى بل انتقلت بنفس الحركية إلى القرى المحصنة والمراكز الحضرية الصغرى على غرار الكاستيلا والباجوس التي شهدت هي الاخرى حركة عمرانية كبيرة أين انتشرت فيلات الأثرياء والأسياد وأصحاب الملكيات الزراعية الكبرى، مما أدى لاتساع حركة العمران بشكل أكبر وتنوعه كذلك، وهذا ما أدى بدوره إلى ارتفاع نسبة الحرفيين في مختلف تخصصات مجال العمارة والبناء من حمالي مواد البناء والمهندسين والبنائين المهرة وحرفيي التزيين وزخرفة الجدران وصناعة الفسيفساء والنوافذ الزجاجية وغيرها، ومن هنا زادت أهميتها الاقتصادية بإنشاء الاسواق، وأهميتها العسكرية بإنشاء الحصون والأبراج، والإدارية بترقية وضعيتها القانونية إلى بلدية ذات خزينة عمومية ومجلس بلدي محلي أو الأوردو (ordo) وأعضاءه من الديكوريين (decurion)، ولدينا هنا نموذج موقع تيديس أحد الحصون الدفاعية المحيطة بسيرتا والتابعة لاقليمها الترابي والخاصعة لنظامها الاداري والداعمة لحركية نشاطها الاقتصادي:

1-التعريف بالمدينة:

أ-**الموقع** : مدينة تيديس الأثرية تابعة اليوم اداريا لولاية قسنطينة التي تبعد عنها بحوالي 23 كلم باتجاه شمالها الغربي، حيث تمّ بناء المدينة فوق هضبة صخرية يصل ارتفاعها إلى حوالي 574,90م تسمى "بكاف أم حديدان"، والتي تطل على الضفة اليمنى للشعاب الضيقة لوادي الرمال وتحفها العوائق والانحدارات الشديدة من كل الجهات ، ويبدو بأن أهم عامل حدد اختيار عملية البناء بهذا الموضع بالذات، هو سهولة

1 -G.Ch.Piard, La civilisation de l'Afrique romaine , Paris,1959,p.169-223.

الدفاع عنه بالإضافة إلى توفر المياه الضرورية للشرب والأراضي الصالحة للزراعة وأجود أنواع الطين اللازم للصناعات الفخارية، هذا ولا يمكن الوصول إلى موقع المدينة القديم إلا عن طريق الجهة الغربية الشرقية له، إذ يحده العديد من المشاتي التي تضم هي الأخرى بقايا لمراكز عمرانية أثرية قديمة وجبل شطابة المقابل لجهته الجنوبية، ومنخفض الخنق العميق الناتج عن تقاطع وادي الرمال مع مجموعة من التلال الصخرية القريبة من آثار موقع تيديس[1]، أما بالنسبة لمساحة المدينة فقد قدرت بأكثر من 40هـ هذا مع الأخذ بعين الاعتبار تنوع تضاريسها التي تنقسم إلى ثلاث مجموعات رئيسية، تمثل المجموعة الأولى منها الهضبة التي تفوق مساحتها 5هـ، أما المجموعة الثانية فتشمل المنحدر الشرقي الذي تتراكب فوقه الأبنية على شكل طوابق متناضدة، في حين تضم المجموعة الثالثة سفح الجرف الصخري الذي تمتد فوقه المقبرة الشرقية حيث توجد العديد من القبور العائدة إلى حقب تاريخية مختلفة، ابتداء من فترة فجر التاريخ وإلى غاية الفترة الرومانية، وبعدها تمتد مساحات واسعة من الأراضي الزراعية والقرى التي تعزز النطاق الجغرافي لمدينة تيديس[2].

ب- التسمية: بالنسبة لتسمية المدينة يمكن القول بأنها حملت العديد من التسميات التي أطلقها السكان المحليون لأسباب مختلفة وذلك قبل اكتشاف اسمها القديم "تيديس"، كان من بينها اسم "الخنق" والذي يعني الممر الضّيق أو الشِعَب، وذلك نسبة إلى المنحدر الوعر الواقع خلف الهضبة التي أقيمت فوقها المدينة في جهتها الجنوبية الشرقية[3] ، حتى أن الباحثين الفرنسيين كانوا يذكرون في تقاريرهم اسم الخنق للإشارة إلى المدينة القديمة واستمر ذلك حتى بعد اكتشاف اسمها القديم، ولا يزال إلى يومنا هذا اسم الخنق متداولا في أوساط أهالي المنطقة.[4]

كذلك عرف الموقع باسم "قسنطينة القديمة" وذلك راجع للتشابه في الموقع بين مدينتي تيديس وقسنطينة حيث بينت كل منهما فوق صخرة عالية يحيط بها وادي الرمال وشعابه العميقة والطويلة، ممّا يعطيهما مظهر القلعة المشيدة فوق أكربول، إذ أنه بالوقوف على قمة هضبة تيديس يمكن رؤية مدينة قسنطينة وصخرتها بالعين المجردة، هذا إضافة لاسم "رأس الدار" الذي طالما ارتبط بقمة الهضبة، حيث دلت التنقيبات الأثرية التي أجريت فيها على وجود آثار لأبنية قديمة يحتمل بأنها كانت معابد للآلهة التي كان يقدسها السكان منذ القدم[5]، لكن وفي سنة 1853 وفي اطار حملة استكشافية قام بها بعض العسكريين الفرنسيين للمنطقة تم العثور على العديد من النصب الاهدائية اللاتينية، كان من بينها نقش مهدى ليوليا دومنا"

1 -AAA, f.17, n.89,p.6 ; A. Berthier, Tiddis, haut-lieu de d'Algérie antique, in, Archéologia,n.42, (sept. - oct.), 1971,p. 6.

2 A. Berthier , Documents Algériens, Synthèse de l'activité algérienne,1949,p.229

3- A. Cherbonneau, Rapport sur les fouilles du Kreneg (Tiddis et Calda),in,R.S.A.C., T.VII, 1863, p.120-121.

4- J. Marchand, Inscriptions latines trouvées au Kheneg, dans, R.S.A.C.,T.II,1954-1955,p.129.

5- A. Berthier, Tiddis cité antique de Numidie,Diffusio de Bcard,Paris,2000, p.33-44

(Julia Domna) زوجة الإمبراطور"سبتيم سيفير" (Septime Sévére)، تضمن نص النقيشة ذكرا لاسم المدينة مختصرا وفق الصيغة التالية ريسبوب. تيديتانور (Respub Tidditanor)، كذلك تم العثور على أنابيب فخارية خاصة بنقل المياه بكل من تيديس وقسنطينة، احتوت على علامات صناعية كتبت على الشكل التالي: (Tidditani)[1]، وهذا ما دفع المستكشفين الأوائل للموقع إلى التصريح بأن اسم المدينة القديم هو تيدي (Tiddi)[2]، في حين فضل البعض الآخر كتابتها على النحو التالي "تيديت" (Tiddit)[3]، إلا أنه ومع استمرار عمليات التنقيب أمكن العثور على المزيد من النصب المهداة للأباطرة الرومان، كان أهمها على الإطلاق نقش جورديان 3 (GordianusIII)، الذي وردت فيه الصيغة الكاملة لاسم المدينة : ريسبوبليكا كاستيلي تيديتانوروم (Respublica Castelli Tidditanorum)[4]، وهنا اقترح جزيل (Gsell St.) شكلا مختصرا لنطق الاسم القديم وهو تيديس (Tiddis) مستبعدا بذلك كل من اللفظين"تيدي وتيديت"[5]، أما عن معنى الاسم فهو حسب العديد من الباحثين ذو أصول محلية ويكون الرومان كعادتهم قد احتفظوا به غير أنهم أخضعوه لبعض التغيير في النطق والكتابة لما يتناسب مع لغتهم، فأصبحت تعرف بكاستيلوم تيدتانوروم (Castellum Tidditanorum)، حيث أكد الباحث باسي (R.Basset) على ذلك مشيرا بأن مصطلح تيديس يمكن البحث عن أصوله ومعناه انطلاقا من لفظ تيدرث (Tiddart)، والذي يعني "دار" أو "منزل"، وهو ما يراه ينطبق تماما على قمة هضبة تيديس التي عرفت باسم "راس الدار"، وهي تسمية يطلقها عادة السكان المحليون على القمم العالية المجاورة لمراكزهم السكنية.[6]

وعليه يمكن القول بأن معنى "تيديس" في اللغة الليبية القديمة قد يكون "بيت الآلهة" أي "المعبد" نسبة إلى ذلك الفضاء المقدس الذي كان مشيدا فوق قمة الهضبة، أو كما سمّاها الأهالي "راس الدار"، حيث يحتمل في أن يكون ذلك المعبد غير المسقوف أكبر وأهم معبد بالمدينة مقارنة بمعابدها الكثيرة الأخرى وفيه كان يعبد أكبر آلهة المدينة، كما قد يكون المعنى المقصود هو "قرية الآلهة" باعتبار أن المدينة قد اشتهرت بطابعها الديني بسبب كثرة المعابد الموجودة بها سواء تلك المقامة داخل الكهوف الطبيعية أو المنحوتة في الصخور أو حتى تلك الموجودة فوق قمة الهضبة، حيث شكلت هذه الأخيرة مأوى للعديد من الآلهة المحلية وكذا الوافدة عن طريق التأثيرات الأجنبية، ولعل عبارة "مدينة الأقداس والمعابد" التي اشتهرت بها من المؤشرات التي تصب في هذا السياق.

1- L. Creully, Note sur les poteries des conduites d'eau romaines à Constantine, in R.S.A.C., T. I, 1853, pp. 135-136
2-C.Creully, Deux villes numido-romaines,in,RSAC.t.1,1853, pp.84-90
3- L. Creully, Note sur les poteries…, pp. 135-136.
4- A. Berthier, Documents Algériens …, p. 231.
5- A.A.A.f. 17, n. 89, p.6.
6- R. Basset ,Notes de l'exicographie berbére, dans J.A. (Novembre - décembre), 1887, p.330.

ج- لمحة تاريخية: من الملفت أن نشير هنا بأن موقع المدينة بعدما هجر بالكامل من طرف ساكنته، قد بقي طي النسيان لمدة زمنية طويلة نسي معها اسمها ومكانتها التاريخية فيما مضى من عصور، ولعل ما ساهم في ذلك هو عدم ذكرها في المصادر القديمة سواء منها الرومانية أو البيزنطية وحتى الاسلامية بعدها، وبقي الأمر على حاله إلى غاية منتصف القرن19م وذلك حين بادر كل من الفرنسيان ليون روني (L.Renier) وكرولي (Creuly) سنة 1853 باجراء بعض الحفريات السطحية، والتي أسفرت عن جمع عشرات النقائش اللاتينية كشف خلالها عن اسم المدينة القديم[1]، ثمّ توالت بعدها كثير من الزيارات الميدانية العلمية قام بها باحثون ومهتمون في كل التخصصات إلى غاية سنة 1898، كانت هدفهم الأول معاينة الموقع عن قرب وجمع أكبر قدر من اللقى والنقائش المتناثرة على السطح هنا وهناك، وعليه فقد ظلت معالم المدينة وبنيتها العمرانية مجهولة تماما وبقيت حبيسة تحت التلال المتراكمة في شكل هضبة، فيما عدا المقابر الواقعة خارج حدود السور الذي كان يحيط بها اضافة لبعض الحصون، وذلك إلى غاية سنة 1941 حين شرع عالم اللغات القديمة ومحافظ الأرشيف لمتحف قسنطينة آنذاك السيد أندري برثيي في تنقيباته الأثرية المنظمة تحت اشراف السلطات الرسمية لبلدية قسنطينة، لتستمر حفريات برثيي الهادفة لإخراج المدينة كاملة من تحت الأرض طوال عقود، أين توقفت حوالي سنوات 1969-1971 من القرن الماضي.

إذن فقد مكنتنا هذه الأبحاث التي امتدت لأكثر من قرن من الزمان وعلى مراحل متقطعة نسبيا من التعرف بشكل ملموس على الفترات التاريخية التي مرت بها المدينة بشكل متسلسل، حيث يمكن الاستدلال على فترة ما قبل التاريخ من خلال وجود ذلك العدد الكبير من قبور الدولمن والبازيناس وتلك المغارات المنحوتة في الصخور، التي تعد أكبر دليل على نشأة تجمع سكاني معتبر بتيديس القديمة تعود بداياته الظاهرة إلى فترة فجر التاريخ، حيث صاحب ذلك الاستقرار البشري ظهور بعض ملامح التفكير الديني الذي ميزته تلك الطقوس الجنائزية المتعلقة بطرق دفن الموتى، إلى جانب الاهتمام ببعض الصناعات التي كان الفخار من أبرزها، هذا دون أن ننسى بداية ممارسة بعض الأنشطة الزراعية.[2]

وتليها فترة التأثيرات الحضارية الفينيقية التي تسربت إليها عن طريق التجار الفينيقيين الذين كانوا يجوبون السواحل الافريقية، إذ يحتمل أن ذلك المدّ الحضاري قد وصل إلى تيديس انطلاقا من سيرتا، ويتجلى ذلك بوضوح في مجموعة من النصب النذرية ذات الكتابة البونية، إضافة إلى العديد من اللّقى الدالة على الحضور الفينيقي-القرطاجي بالموقع كتمثال السفنكس البرونزي المميز، وهذا ما يدفع للاعتقاد بأن تيديس

1- C.Creully, Deux villes numido-romaines,in,RSAC.t.1,1853,pp.84-90 ; L.Renier,Inscriptions romaines de l'Algérie,Paris,1858 ,pp.276-279.

-2-J.Heurgon,L'œuvre archéologique française en Algérie, in, Bulletin de l'Association Guilaume Budé, Lettres d'Humanité, t.XV, 1956, p.223.

كانت إحدى مراكز التواجد البوني القريبة من سيرتا[1]،أما المرحلة النوميدية فيمكن الاستدلال عليها من خلال تلك النصب النذرية ذات الكتابة الليبية وذلك الكم من العملات المضروبة باسم الملوك النوميديين، والتي تضمنت رموز وشعارات المملكة النوميدية كصور الخيول والفيلة وأسماء بعض المدن النوميدية كسيرتا وروسيكادٍ وأيول[2].

بينما الفترة الرومانية تبدو ملامحها في كل ركن من المدينة لأن معظم ما يمكن للزائر رؤيته اليوم من معالم منتصبة لاتزال تقاوم عوامل الزمن هي ذات طابع روماني حقا ، حيث عاشت المدينة خلالها تطورا كبيرا في مجال العمران الحضري بخضوع سطحها لمناهج التخطيط العمراني الروماني، ولعل كثرة النصب الإهدائية المكتشفة والمقدمة للأباطرة وتنوع المنتجات الفخارية وحجم المنشآت العمرانية التي تم الكشف عنها لأكبر دليل على تلك الرفاهية المعتبرة التي عرفتها المدينة خلال تلك الحقبة[3]، وكذلك فقد شهدت تيديس مرور الوندال والبيزنطيين الذين لا تزال بعض الآثار تدلّ عليهم، وأخيرا آلت إلى الحكم الإسلامي ويتضح ذلك من خلال مجموعة من العملات والصنوج وبعض القبور والبنايات السكنية وكمية كبيرة من الفخار المطلي المؤرخة بالعهد الفاطمي والحمادي، وحسب النتائج التي توصل إليها برثيي فإن تيديس تكون قد هجرت في عهد الموحدين وأقيمت بالقرب منها بعض المشاتي أو القرى الصغيرة التي لا تزال باقية إلى يومنا هذا[4].

2- مظاهر التهيئة العمرانية:

يرجح الباحثون بأن أقدم مظاهر العمران التي شيدها الانسان بتيديس قد كان بقمتها أين تتموضع القبور الميغاليثية مثل الدولمن والبازيناس ومعابد غير مسقوفة، في حين أن المركز العمراني المحلي قد تموضع فوق الهضبة، والمركز العمراني البوني قد تموضع فوق المنحدر الشرقي، ومع تواجد الرومان بالمدينة تطورت معالمها العمرانية حيث تمت عمليات بناء تتلائم مع نظامهم العمراني من جهة، ومع طبيعة الأرضية التي يتميز بها الموقع من شدة الانحدار وعدم انتظام التضاريس من جهة أخرى، فكانت هناك الانحدرات وسطوح المصاطب والسلالم الحجرية التي مكنت من تهيئة الكاردو والديكومانوس والفوروم، وفي غياب العيون ومصادر المياه الطبيعية فقد توجب إنشاء خزان ضخم وأعداد لا تحصى من الصهاريج لتجميع مياه

1- P.A. Fevrier, La recherche archéologique en Algérie et l'histoire ancienne du Maghreb,in,R.H.C.M.,t.8, 1968, p.17.

2- M. Troussel, Le trésor monétaire de Tiddis, in, R.S.A.C.,t.66, 1948, pp.134-154.

3- J.Lassus ,Trois villes romaine, Timgad, Djemila, Tiddis, dans, la lumière des cites africaines, T.1, Afrique du nord, 1956, PP 178-180.; L. Leschi, L'Algérie antique, arts et métiers graphiques, Paris, 1952, pp.71-86.

4-P.A.Laily et H.Tayeb, Disques de verre polychromes du musée de Constantine,in, R.S.A.C,t.71, 1969-1971, pp.123-142.

الأمطار،كذلك زين مدخل المدينة بقوس وتنوعت مساكن الأفراد بين البيوت العادية والدور الفخمة وانتشرت المعابد في كل زوايا المدينة.

أوّلا- العمارة ذات الطابع المدني:

1- باب المدينة:

لقد زود مدخل المدينة القديمة بباب ضخم زينت قواعده بنواتئ زخرفية متوجة بإفريز حامل لقوس مقنطر ، ونقش على السطح المعمد للبوابة كتابة لاتينية تشير إلى الشخصية التي تكفلت بمصاريف البناء وكذا إلى الطريقة التي كانت تتم بها عملية فتح الباب وغلقه، والذي لا تزال بعض مكوناته سليمة مثل ساكف الباب والثغرات التي يثبت فيها نجران الباب ودعامه الأيمن[1]. (أنظر الصورة رقم 1).

2- الطريقين الرئيسيين:

أ- **طريق الكاردو:** أو الكاردو ماكسيموس (CARDO MAXIMUS) بمعنى الطريق أو المحور الرئيسي ذو الاتجاه شمال- جنوب والذي يبدأ مساره هنا انطلاقا من مدخل المدينة حيث يبلغ متوسط عرضه حوالي 3,50م ، بلطت أرضيته بحجارة ملساء ذات أحجام مختلفة توجد عليها حزوز يحتمل بأنها نقشت عمدا حتى لا تنزلق الأحصنة العابرة لهذا الطريق، ثم يمتد مساره نحو الجنوب حتى يلتقي بالسور المحيط بالمدينة مكونا بذلك عدة منعرجات، تكثر فيها النتوءات الصخرية وعدم استواء الأرض مما شكل عائقا أمام استمرارية هذا الطريق في اتجاه مستقيم لذلك فقد كان الكاردو عبارة عن طريق متعرج.[2] (أنظر الصورة رقم 2).

ب- الديكومانوس: (Decumanus) وهو الطريق الرئيسي الثاني في أي مدينة رومانية، ويكون اتجاهه عموديا ممتدا من الشرق إلى الغرب، وقد اشتق اسمه من حرف (X) لأنه يشكل هذا الأخير عند تقاطعه مع طريق الكاردو، أما في مدينة تيديس فقد أجبر البناؤون بسبب طبيعة الموقع على تحويل طريق الديكومانوس إلى سلم حجري ضخم يتألف من 38 درجة تتخللها 5 ردهات للاستراحة ويتجه اتجاها غربيا شرقيا منطلقا من أسفل المدينة نحو أعلاها، ثم يواصل الديكومانوس سيره إلى أن يلتقي بطريق الكاردو بالجهة الشرقية للساحة العامة،[3] (أنظر الصورة رقم 3).

3- المباني العمومية ذات الطّابع الإداري:

تعتبر الأبنية ذات الصبغة الإدارية من أهم المنشآت الموجودة بالمدن لكونها تعد مقرا لتجمع الموظفين والمسؤولين السامين المكلفين بإدارة شؤون المدن وحفظ النظام وضمان إحكام سيطرة السلطة المركزية بروما على المقاطعات التابعة لها، وفي حالة تيديس فإنّ هذا النوع من الهياكل قد تضاعفت أهميته

1-A. Berthier , Tiddis, 1951..., p.24
2-A. Berthier , Tiddis, 1951..., p.25.
3- A. Berthier , Tiddis, 1951..., p.38 ; A. Berthier , Tiddis, 1991..., p.92

خاصة وأنها بنيت في منطقة إدارية صغيرة هي الكاستيلوم، إضافة إلى ما يعانيه الموقع من مشكل ضيق الفضاء والمساحات المستوية المناسبة للبناء، ممّا جعل ظاهرة استغلال نفس البناء لاستعمالات متعددة أمرا حتميا مثلما هو عليه حال الفوروم وملحقاته:

أ- الفوروم أو الساحة العامة:

يتميّز فوروم تيديس بصغر مساحته التي قدرت بحوالي 30م طولا و10م عرضا لذلك فقد صنفه الباحثون كأصغر الساحات العامة الموجودة بمدن شمال افريقيا الرومانية، وحسب مجموعة النقائش الملتقطة من هذا الأخير فإن برثيي يرجع تاريخ بناء هذا المعلم إلى القرنين 2م و3م، لكن ورغم ضيق هذا الفوروم فقد انتصبت فيه التماثيل المهداة للاباطرة مثلما تدلّ على ذلك النقوش المسجلة فوق القواعد لا سيما أفراد الأسرة السيفيرية مثل سبتيم سيفير (Septime Sévère) وزوجته يوليا دومنا (Julia Domna) وأبنائهما كركلا (Caracalla) وجيتا (Geta) وكذا الإمبراطور جورديان 3 (Gordianus III)، كما رفعت بالفوروم أيضا تماثيل لشخصيات لامعة أصيلة تيديس تمكنت من تحقيق سيرة مهنية ناجحة سواء على المستوى المحلي بشغلها مناصب رفيعة ضمن الكونفدرالية السيرتية أو على مستوى الامبراطورية، كان من أشهرها لوليوس أوربيكوس (Lollius Urbicus).[1] (أنظر الصورة رقم 4).

ب- الغرف الثلاث:

من بين المرافق التي زود بها الفوروم نجد ثلاثة غرف متلاصقة لكل منها باب وأرضية مبلطة، قدر طولها أولاها بـ 7,44م وعرضها بـ 5,5م وزودت جدرانها الجانبية بمقعدين عريضين، وتتوسطها مصطبة صغيرة كانت مخصصة لوضع أحد التماثيل، ونظرا لعثور المنقبين على نقيشة مهداة للإلهة فورتين (Fortune) أسفل الفوروم، فإنه من المحتمل أن تكون هذه الغرفة معبدا لهذه الآلهة، أما الغرفة الوسطى فيبلغ طولها 6,16م وعرضها 5،16م ،يمتد على طول جدرانها الداخلية مقاعد حجرية عريضة، وعلى الجدار الخلفي لهذه الغرفة توجد كتلتين بينهما فراغ بشكل خزانة، وهذا ما قد يشير إلى أن هذه الغرفة كانت عبارة عن مقر اجتماع أعضاء المجلس البلدي (ordo decurionum)، بينما الغرفة الثالثة الواقعة على الجهة الشمالية فقدر طولها بـ 7.59م وعرضها بـ 5.50م.[2]

ج- الأقواس:

تعد الأقواس في العمارة الرومانية ضمن المباني التزيينية والرمزية وفي هذا الاطار بالتحديد يدخل استخدام القوسين بالقرب من الفوروم بتيديس، أين كان التقاء الطريق الرئيسي الأول الكاردو بالطريق الرئيسي الثاني الديكومانوس عند الساحة العامة أمرا مستحيلا نظرا لطبيعتها التضاريسية المنحنية، ولذلك فقد تم

1- A.Berthier , Tiddis, dans documents…, p. 113
2- A. Berthier , Tiddis, 1942, p.149.

تعويض هذا الالتقاء الطقوسي للطريقين الرئيسيين أسفل ساحة الفوروم بإنشاء قوسين ملتصقين مع بعضهما من جهة واحدة حيث يكونان بينهما زاوية قائمة، أحدهما يتجه نحو الشرق والآخر نحو الشمال، وللعلم فإن هذا الأخير قام برثيي بإعادة ترميمه في حين لا يزال القوس الثاني مهدما دون ترميم.[1] (أنظر الصورة رقم5).

4- المنازل والدّور الفخمة:

أ- المنازل العادية:

لقد بنيت منازل تيديس على مساحات صخرية محدودة وضيقة وذلك بعد تسوية الأساس الصخري الذي أقيمت عليه، لذلك فإن معظم منازل المدينة قد نحتت في الصخر وتتوفر على طابقين، يحتوي الطابق السفلي على إسطبل خاص بالحيوانات التي كانت تستخدم للنقل كالحمير والبغال والأحصنة، وسلم حجري يؤدي إلى الطابق العلوي الذي يضم هو الآخر بعض الغرف الصغيرة الحجم، هذا بالإضافة إلى تلك المنازل التي بنيت مستندة على الأساس الصخري وأخرى زودت بأعمدة عليها تيجان مختلفة الطراز[2].

ب- الدور الفخمة (villae)**:** كشفت الحفريات الأثرية المنفذة بالموقع عن نموذج للسكنات الفخمة التي أقام بها أفراد الطبقة الثرية، والذي شيد في سفح المنحدر الشرقي وتوفر على مدخلين أحدهما يقع بالجهة الغربية احتوى على أعمدة ورواق مكشوف يتبعه طابق أرضي به صهريج مائي وتمتد بجانبه أرضية مبلطة باللوحات الفسيفسائية ذات زخارف نجمية تمتد في وسطها زخارف زهرية إلى جانب درج داخلي يؤدي إلى الطابق العلوي[3]، أما المدخل الثاني لهذا البيت الفخم فيقع في الجهة الشرقية يؤدي إلى رواق مفروش باللوحات الفسيفسائية المتشكلة من زخارف مكعبة ذات لون أبيض وأسود، وقطعة فسيفسائية أخرى تتكون من زخارف على شكل مثلثات متعاقبة تمتد إلى غاية صهريج مائي ذو شكل دائري ،كذلك احتوى هدا البيت على حماماته الخاصة ضمت جميع المكونات الرئيسية للحمامات مثل الكالداريوم الذي تألف من حجرتين، احتوت الحجرة السفلية على أفران فخارية لتسخين الحمام، إضافة إلى التيبيداريوم والفريجيداريوم الذي احتوى هو الآخر على مسبح فرش باللوحات الفسيفسائية.[4]

5- الحمامات ومرافق المياه:

أ- المرافق الخاصة بالمياه:

لقد كان الاهتمام ببناء وصيانة المنشآت الخاصة بالمياه من الأمور ذات الأولوية بالنسبة لموقع تيديس لكونها بنيت فوق هضبة مرتفعة يصعب فيها الحصول على مصادر دائمة للمياه، فكان الحل البديل هو ايجاد السبل التي تمكن من الاحتفاظ بأكبر كمية من مياه الأمطار المتساقطة شتاء وتخزينها لأوقات

1-A.Berthier,Tiddis cité antique…, p.45-48
2 - A. Berthier, Tiddis, 1991, p. 92.
3-A. Berthier, Tiddis, 1991, p. 92.
4-J.Lassus, L'archéologie, p.92; A. Berthier, Tiddis cité antique, p. 83-90.

الحاجة والضرورة، وذلك بإنشاء مجموعة من المرافق لتسهيل عملية التحكم في تجميع مياه الأمطار وتوزيعها مثل خزان المياه الكبير والصهاريج والأحواض والقنوات الفخارية.

ب- خزان المياه الكبير:

بني هذا الأخير فوق الهضبة حيث عثر عليه وهو في حالة حفظ جيدة إذ يتألف من ثلاثة أحواض ضيقة ومتلاصقة متصلة فيما بينها، تسمح بانتقال المياه من حوض لآخر لترسيب المياه وتنقيتها من كل الشوائب من أجل الحصول على مياه صالحة للشرب، أما عن طاقة استيعابه للمياه فقد قدرت بحوالي 350م^3 استغلت لتزويد السكان بالماء الصالح للشرب، إضافة إلى تزويد الحمامات العمومية المجاورة للخزان بالمياه اللازمة للاستحمام.[1] (أنظر الصورة رقم 6).

وقد تمّ تخليد عملية إنجاز هذا الخزان ونحته في الصخور بنقش تذكاري أشار بالتفصيل إلى خطوات تنفيذ هذا العمل الضخم في العبارات التالية " بفضل العناية الإلهية لأباطرتنا غالوس (Gallus) وفولوسيان (Vollusien) المعظمين، فإن القنصل ماركوس كوسيوس أنيسيوس فوستوس فلافيانوس (Marcus Cocceius Anicius Faustus Flavianus)، قيم (Curateur) وحامي (Patron) المستعمرات السّيرتية، قد أمر ببناء خزان لتوفير المياه اللاّزمة للصّحة العمومية، وذلك بعد نحت الجبل وتسويته من طرف سكان المدينة"[2]، وكما يتضح من نص النقيشة فإن إنشاء هذا الخزان قد تم باستغلال سكان المدينة الذين ساهموا في عملية الحفر وتسوية الأرضية ونقل الحجارة الخاصة بالبناء دون حصولهم على أجر مقابل ذلك وهو ما يعرف بالسخرة[3].

- الصهاريج:

تتوزع بتيديس عشرات الصهاريج التي فاق عددها 50 خصصت لالتقاط مياه الأمطار وتجميعها، بني بعضها بالإسمنت والحجارة ونحت البعض الآخر في الأرضيات الصخرية وتمت تغطيتها بمصاطب وأسقف من الآجر، وذلك لتسهيل إلتقاط المياه السائلة ومنع تسرب الأتربة إلى داخل الصهاريج، زيادة على ذلك فقد أنشئت أحواض مفتوحة السقف في أماكن منخفضة من أجل رصد المياه السائلة عبر المنحدرات وأسطح المدينة، حيث يتم بناء عدة أحواض متلاصقة من أجل ترسيب المياه والحصول على مياه صافية، أما عن شكل تلك الأحواض فهي تختلف بين الشكل الدائري والمربع والإهليليجي.[4]

1 - A. Berthier, Tiddis, dans archéologia, p. 10; A. Berthier, Tiddis, 1991, pp. 52.53.
2- IL.Alg, t.II, n. 3596.
3-A. Berthier , Trois inscriptions de Tiddis,in, R.Af, t.89, 1954, P.6
4- A. Berthier, Tiddis, 1991, p. 52.

- قنوات وأنابيب نقل وتوزيع المياه:

إن مياه الأمطار التي كان يتم تجميعها داخل الأحواض والصهاريج سواء المبنية أو المنحوتة أسفل المنحدرات، كانت تسير عبر سواقي ومجاري مائية منحوتة في الصخور والمنحدرات وأطراف السلالم الحجرية، حيث يتم توجيهها نحو المسار المراد لتصب أخيرا في الأحواض، هذه الأخيرة تنطلق منها أنابيب صنعت من الطين المشوي تقوم بنقل المياه إلى أحواض أخرى تقع في مستويات منخفضة، وذلك بهدف تصفية تلك المياه من العوالق، والجدير بالذكر أن هذه الأنابيب الفخارية السطحية كانت تستخدم كذلك لتوزيع المياه على مختلف المباني الموجودة بالمدينة، حيث امتدت بعضها إلى مسافات طويلة نسبيا عثر على إحداها محفوظة بشكل كامل قدّر طولها بحوالي 5م، إضافة إلى قناة مائية أخرى تمتد من خزان المياه الكبير إلى غاية الحمامات العمومية القريبة منه[1].

ب- الحمامات:

بالقرب من خزان المياه توجد مجموعة من الحمامات العمومية الصغيرة الحجم يتم تزويدها بالمياه من خزان المياه الكبير، ورغم صغر حجمها فإنها احتوت على مكونات الحمامات الرئيسية من كالداريوم (caldarium) أي القاعة الشديدة الحرارة، التيبيداريوم (tepidarium) أي القاعة المعتدلة الحرارة، والفريجيدار يوم (frigidarium) أي القاعة الباردة، وتحتوي هذه الأخيرة على حوض واحد، بني على شكل مربع قدر طوله على الأطراف بـ 2م، وقد استعملت هذه الحمامات لمدة طويلة من الزمن كما تؤكده تلك الترميمات التي أجريت على بلاطها.[2] (أنظر الصورة رقم 7).

6- المنشآت التجارية والحرفية:

لقد عرفت تيديس حركة تجارية نشيطة حتى أصبحت تعرف بمدينة الأسواق نتيجة تزايد الإنتاج الحرفي وتنوعه لاسيما منتجات الفخار التي تميزت بالإنتاج الهائل فاق حاجات السكان المحليين فغزت بضائعها جميع المدن المحيطة بها، ومن بين المرافق المتعلقة بالتجارة والصناعة نشير إلى:

أ- مبنى السوق:

يقع على يسار طريق الكاردو ويبعد عن باب المدينة بحوالي 80م ويفصله عن حي الخزافين سور سميك، وقد تم التعرف عليه عن طريق نقيشة تشير إلى تأسيس سوق بتيديس سنة 248م، تعود إلى عهد الامبراطور سيفير ألكسندر (Sévère Alexandre)، كما ورد في النقيشة ذكر الأيام التي تقام فيها عمليات البيع والشراء[3]، الى جانب العثور على الأدوات المستخدمة للوزن وكميات معتبرة من القطع النقدية، ومن جهة

1-J.Lassus, L'archéologie algérienne en 1958, Libyca,t.VII,1959,pp.294-295 ; A Berthier Tiddis,1991,p.54
2- A. Berthier, Tiddis cité antique…, p.134-135
3- IL. Alg ,t. II , n .1 3804.

أخرى فإن التهييئات الخاصة بالسّوق قد شيدت فوق سطح صخري إلا أنها خضعت لتغيرات كبيرة في العصور اللاّحقة، فقد بنيت فوقها بنايات سكنية كثيرة خاصة تلك التي تعود إلى الفترة الإسلامية، مما تسبب في طمس المعالم الأصلية للسوق باستثناء بعض الطاولات الحجرية التي كانت تعرض عليها السلع والبضائع، إضافة إلى بعض القواعد التي كانت تثبت عليها جرار كبيرة بدون قاعدة.[1]

ب- المنطقة الصناعية:

لقد كان توفر المدينة على مواد أولية تميزت بجودتها وأحاطتها بأراضي زراعية خصبة من أكبر الحوافز التي أدت إلى تحول بعض أقسام المدينة إلى مراكز استقرت بها فئات مختلفة من الأيادي الحرفية العاملة ضمن ورشات دائمة الانتاج، تنوع نشاطها بين صناعة الفخار ودباغة الجلود وعصر الزيت والعنب وطحن الحبوب، وهي أنشطة أثبت المنقبون بالموقع انها ليست بالجديدة بل إنها تعود إلى ما قبل الفترة الرومانية بزمن طويل، وكل ما أنجزه الرومان هنا لا يعدو أن يكون توسيعا لهذه النشاطات ومضاعفة لمنشآتها، كان من بينها:

- حي الخزافين:

مثلما أسلفنا الذكر فإن أكثر نشاط حرفي اشتهرت به تيديس كان صناعة الفخار مثلما يدل عليه ذلك الكم الهائل من الأدوات الفخارية المختلفة الأشكال والأحجام والاستعمال والتي عثر عليها بالجهة الشمالية للمدينة، ممّا جعل برثيي يدرك بأنّه أمام شارع خاص بفئة الحرفيين أقيم على أنقاض حي سكني بوني قديم ، ويتكون من بقايا ورشات الخزافين وبيوتهم وعدد كبير من الأفران لم يبق منها سوى 20 فرنا تجمعت على محور مستقيم بلغ طوله 50م كانت تستخدم لحرق الفخار، إضافة إلى عدد من الأحواض مخروطية الشكل كانت تستخدم لتحضير الطين اللازم لصناعة الأدوات الفخارية وكذا لدبغ الجلود ودعك العنب وغيرها من الاستعمالات الأخرى.[2]

وللإشارة فإن العمل في تلك الورشات لم يقتصر على حرفيي مدينة تيديس مثلما تدل عليهم علامتهم الصناعية المعروفة بالتيديتاني (Titditani)، بل تعداه إلى قدوم العديد من الحرفيين الآخرين من المدن المجاورة للاستفادة من نوعية الطين الممتازة الموجودة بالمدينة على غرار الأوزيليتاني (Uzelitani) القادمين من أوزيليس (Uzelis)، والميلويتاني (Milevitani) الوافدين من مستعمرة ميلو (Milev)، إضافة إلى ورشات الجملونس (Gemellense) والأوزورنس (Auzurenses) والكلمنس (Calamenses) الذين لا تزال مواضع المدن القادمين منها غير معروفة.[3]

1-A.Berthier , Tiddis, in Archéologia , p.13.
2- A. Berthier, Tiddis, 1991, p. 88-90.
3-Creully, Notes sur les ..., pp. 132-136.

ثانيا– العمارة ذات الطابع الديني:

توزعت في كل أرجاء الموقع المباني الخاصة بتأدية الطقوس الدينية ابتداءً من المغارات وقبور الدولمن والبازيناس التي اعتبر الفضاء المحيط بها ذو قدسية خاصة أين كانت تمارس بعض طقوس العبادات المحلية، لكن وخلال الحقبة الرومانية شهدت الحياة الدينية انتعاشا كبيرا كان من بين العوامل المساهمة في ذلك هو التعايش بين مختلف الآلهة الوثنية سواء كانت محلية أو رومانية أو شرقية، ثم التحقت بها الديانة المسيحية فيما بعد فتنوعت على اثر ذلك المعالم الخاصة بكل هذه المعتقدات[1].

1– المعالم الدينية الوثنية:

بنيت بتيديس خلال الفترة الرومانية الكثير من المعابد لمختلف الآلهة الوثنية التي انتشرت عبادتها في عموم افريقيا منها:

أ– معبد ساتورن: بني هذا الأخير فوق قمة الهضبة المعروفة باسم راس الدار ولم يبق منه الآن سوى مغارة وقاعتين مستطيلتي الشكل تقدر أبعاد القاعة الأولى بـ 7,20م طولا و3,10م عرضا، بينما قدر طول القاعة الثانية بـ 7,50م وعرضها 7,20م بهما بقايا أعمدة لأربعة مذابح نذرية، زودت بدرج يؤدي إلى سطح علوي لا يحتوي على سقف، وعليه فقد يكون نموذجا لمعبد مفتوح إلى السماء[2]، وبإحدى الواجهات الصخرية المجاورة نقشت صورة رجل واقف تستند يده اليسرى على عمود، بينما يمد ذراعه اليمنى إلى أعلى ويمسك بيده قدحا وبالقرب من هذا النقش يوجد حوض دائري صغير ربما يمثل صورة لكاهن الإله ساتورن.[3] (أنظر الصور رقم 8).

ب– معبد الإله ميثرا: يبدو أن الطبيعة التضارسية التي تتميز بها تيديس والتي توفرت على عدد كبير من المغارات والكهوف قد كانت من أهم العوامل التي شجعت أتباع هذه الديانة على استغلال المزيد منها كمعابد للإله ،منها تلك الواقعة بالقرب من بوابة المدينة على الجهة اليمنى لطريق الكاردو، وهي عبارة عن مغارات طبيعية منحوتة في الصخور أجريت عليها بعض التحويرات الداخلية، إذ تتكون من غرفة صغيرة يمكن الدخول إليها عبر فتحة مستطيلة الشكل أما المغارة التي تلاصقها فقد زودت بعدة فتحات تشبه النوافذ، حفرت في أرضيتها تجاويف مخروطية الشكل، تعلوها مغارة صغيرة يتم الصعود إليها عبر سلم حجري استخدمها كهنة الإله كمأوى[4]، (الصورة رقم 9).

---

1 -St.Gsell, Monument antiques de l'Algérie, t.2,Paris,1901, p.130

2- A.Berthier et M.Leglay,Le sanctuaire du sommet et les stèles à Baal – saturne de Tiddis, Libyca,t.VI,1958,pp.23-74.

3-A.Berthier , Tiddis, 1991..., pp.64-65. A.Berthier , Tiddis cité antique…,p.157-159.

4 - A. Berthier , Tiddis, 1991, p. 37.

وبجوارها توجد قاعة أخرى منحوتة في الصخر استخدمت كإسطبل لوضع الحيوانات المقدمة كقرابين للإله المشار إليه، كما كان يتم فيها ذبح ثور من قبل أتباع الإله حيث جهزت أرضية الإسطبل بثغرات تتسرب عبرها دماء الثور بعد ذبحه، هذه الأخيرة تسقط على شكل زخات فوق كهنة الإله المتواجدين داخل غرفة تحتية منحوتة في الصخر عمقها 2م، أين كان كهنة الإله يمارسون طقوسهم السّرية[1]، ومما يؤكد نسبة هذه المغارات لعبادة الاله ميثرا هو العثور بقربها على نقيشة تذكر عبارة "إلى الإله ميثرا الذي لا يغلب" (I.M. CVLTORES DE SVO. AS AEDI FICARVM)، إلى جانب عمودين مزخرفين بشكل ديك والذي يعد هو الآخر أحد رموز الإله ميثرا، كذلك تم العثور خلال التنقيبات على معابد أخرى للإله ميثرا منحوتة في الصخر زوّدت مداخلها بسلالم حجرية.[2]

ج- معبد الإلهة فيستا:

هو عبارة عن مغارة طبيعية مستديرة الشكل فتحت بأسفل صخرة ضخمة وعالية أما الجزء الداخلي لهذه المغارة فهو عبارة عن حجرة واسعة ، خصصت لعبادة الإلهة فيستا وهذا ما يثبته اكتشاف مذبح نذري صغير نقش عليها اسم هذه الإلهة قام بتقديمه كهنتها، وصخرة فيستا يحيط بها طريق منحوت في الصخر يشكل طريقا طقوسيا خاصا بمرور مواكب كهنة الإلهة فيستا والقاصدين تلك المغارة مباشرة[3]، (أنظر الصورة رقم 10).

وبالقرب من المعبد السابق يقع مجمع الإلهة فيستا وهو عبارة عن عمارة كبيرة معزولة عن الأبنية الأخرى، كانت تتألف من عدة طوابق بها غرف عديدة، كما زودت بمختلف الملاحق اللازمة كالمخزن وصهاريج المياه والأروقة الداخلية، أما أرضية الغرف فقد تم تبليطها ببلاط احتوى على زخارف تمثل شكل إشارات تشبه الحرف اللاّتيني (V)، وتدل قطع الأجر المتناثرة داخل الغرف بأن هذه العمارة كان لها سقف مغطى بالأجر، إضافة إلى أن احتواء إحدى الغرف الصغيرة على نفق سري يؤدي إلى المغارة المسماة صخرة فيستا، يقود إلى الاعتقاد بأن هذه العمارة كانت عبارة عن دير خاص باقامة كهنة الإلهة فيستا.[4]

د- معبد الإلهة كرس (كريريس):

بني فوق الحافة الجنوبية للهضبة ويتكون من ثلاث طوابق بني الطابق السفلي فوق منحدر صخري، أما الطابقين الأوسط والعلوي فقد تم نحتهما داخل الصخور يحيط بهما سور ضيق، وقد أمكن التعرف على

1 - A. Berthier , Tiddis cité antique…, p.59-65
2- A. Berthier, Trois inscriptions de Tiddis, R.Af.t.89, 1945, p. 20.
3- J. Lassus, L'archéologie Algérienne en 1959, in, libyca, t .VIII, 1960, p.62.
4- M. Leglay , L'archéologie Algérienne en 1953, in, libyca, t.II, 1954, p.285.

هوية هذا المعبد بفضل اكتشاف مذبح نذري نقش عليه اسم الإلهة فورتين كيريس (Fortune Ceres)[1]، (أنظر الصورة رقم 11).

2-المعالم المسيحية:

توفر موقع تيديس على بعض المعالم المسيحية منها كنيستين ذات 3 أجنحة إحداهما تقع على الطريق الرئيسي للمدينة والأخرى تقع على الهضبة في قمة الموقع، الى جانب وجود العديد من بيوت العماد المسيحي:

أ-الكنائس:

تقع الكنيسة الأولى على حافة طريق الكاردو مقابل مغارة الاله ميثرا ، يحتمل أنها بنيت على أنقاض معبد الإلهة الوثنية كيبيلي (Cybèle)، والملاحظ توفر مبنى الكنيسة على سلم يتكون من ثلاث أدراج يؤدي إلى مدخل محاط على جهتيه بأعمدة تؤدي إلى ساحة مبلطة ببلاط كبير الحجم وجميل الشكل، يقسمها صف من الأعمدة إلى ثلاث أجنحة، وتبدو تلك الأعمدة مختلفة عن بعضها البعض لكونها أخذت من أبنية أخرى متباينة[2]، (أنظر الصورة رقم 12)، أمّا الكنيسة الثانية وفق ما أشارت اليه نتائج الحفريات المنفذة بمعبد ساتورن الواقع بقمة الهضبة فإن هذا الأخير قد تم تحويله من معبد وثني إلى كنيسة مسيحية مثلما توضحه تلك المصابيح الملتقطة من هذه المنطقة، حيث تبين أنها تحمل شكل الصليب شعار المسيحية، إضافة إلى اكتشاف عدد من النصب النذرية المهداة للاله والتي تعرضت للكسر والتشويه العمدي من طرف المسيحيين، حيث تمّ تطريق الوجوه الإنسانية التي تمثل مقدمي النذور والقرابين الوثنية[3].

ب- بيوت العماد المسيحية:

إلى جانب الكنائس فقد وجدت بعض بيوت العماد المسيحية والتي لا تزال محفوظة بشكل جيد وتنتصب في أماكنها، اتخذت أشكالا مختلفة أحدها كان ذو حوض دائري وآخر ذو فوهة مربعة الشكل[4]، (أنظر الصورة رقم 13).

ج- قبور الشهداء والقديسين:

التقطت من مبنى الكنيسة الأولى بقايا لقطع فسيفسائية تحمل زخارف ذات طابع مسيحي كانت تغطي قبرا تهدم جزؤه الأكبر، إلى جانبه اكتشفت ثلاثة قبور أخرى احتوت على توابيت حجرية ، قد تكون

1- A.Berthier , Tiddis cité antique…,p.151-152
2-A. Berthier , Tiddis, 1991...,pp.38-40.
3 -A. Berthier et M. Leglay, op. cit., p.53.
4 - A. Berthier , Tiddis cité antique…,p.38-40.

لشهداء مسيحيين تعود لفترة الإضطهاد، كشفت الفسيفساء الموجودة على احدى البلاطة الحجرية التي عن اسم الشهيدة ثرويا فاوستينا.[1]

ثالثا– العمارة ذات الطابع الجنائزي:

من الجدير بالذكر هنا بأنّه وفي العرف العمراني الروماني عادة ما تقام المقابر والأضرحة خارج حدود السور المحيط بالمدينة النابضة بالحياة، فكان بذلك عالم الأموات منفصلا عن عالم الأحياء، وهذا ما نجده ساريا كذلك بتيديس مثلما سنوضحه فيما يلي:

1– المقبرة الرومانية:

أقيمت المقبرة الرومانية خارج الأسوار المحيطة بالمدينة بجهتها الشرقية قدر طول بعضها بحوالي 14م وعرضها بـ 9م، غطيّت أقسامها الخارجية بالآجر، أما القسمه الداخلي منها فقد حفر به رواق يؤدي إلى غرفة الدفن التي وضعت فيها أواني فخارية احتوت على رماد الموتى ، كما زودت بالمذابح الجنائزية التي وضعت بالقرب منها احتوت على نصوص نقشية ورد فيها ذكر أسماء المدفونين ووظائفهم التي شغلوها خلال حياتهم[2]، زيادة على ذلك فقد كان الدفن يتم داخل قبور الكولومباريوم (colombarium) التي تتألف من غرف منحوتة في الصخر تحفر في جدرانها كوّة تحفظ فيها توابيت الموتى أو الجرار الفخارية التي تضم رماد الموتى بعد حرق أجسادهم، وللإشارة فقد عثر في تيديس على نموذج واحد فقط لهذه القبور احتوى على كوّتين لوضع الأواني الجنائزية[3].

2–الأضرحة:

بمنطقة لهري الواقعة على بعد 4 كلم شمال آثار المدينة القديمة ينتصب معلم ضخم على شكل برج أسطواني يشبه إلى حد كبير ضريح المدغاسن، تشير اللوحات اللاتينية المنقوشة على قسمه الأسطواني أنه يخص عائلة لوليوس أوربيكوس (Lollius Urbicus)[4]، اعتبره الباحثون نموذجا فريدا للأضرحة الدائرية البسيطة ذات الطابق الواحد التي بنيت في اقليم سيرتا في القرن 2م، قدّر ارتفاعه الإجمالي بحوالي 5,5م وقطره بـ 10م وسمك جدرانه بـ 1,5م، أمّا بروز الافريز وقاعدة السطح فقد قدرت بحوالي 50سم، استخدمت في بناءه حجارة منحوتة ذات حجم كبير طبقت في ذلك تقنية التربيع (opus quadratum) بينما تم استعمال مادة الملاط لتثبيت الحجارة فيما بينها.[5] هذا وقد تألف في مجموعه من أربعة أقسام يشكل القسم الأول منه قاعدة دائرية الشكل تضم بدورها ثلاثة قواعد متناضدة من الحجارة المنحوتة التي يصل إرتفاعها إلى

1- A. Berthier, Tiddis cite antique…,p. 57- 59

2 - Ibid, p.194-200.

3- A. Berthier, Tiddis,1991,p.54

4- نص النقيشة: "إلى ماركوس لوليوس سينكيو أبي، إلى غرانيا هونوراتا أمي، إلى لوقيوس سينكيو أخي، إلى ماركوس لوليوس هونوراتوس أخي، إلى بوبليوس غرانيوس عمي، كوينتوس لوليوس أوربيكوس حاكم المدينة"، أنظر: CIL.t .VIII.n°6706.

5 -A.A.A.,f.8,n.174,p.11 ; St.Gsell, Monuments…, T. 2, p. 97

1.50م، أما القسم الثاني فيشكل جذع الضريح الذي تكوّن من ستة قواعد متتالية، والقسم الثالث يشكل الافريز الذي يتكون من قاعدة حجرية واحدة ثم القسم الرابع الذي يمثل قاعدة السطح العلوية، أما فيما يخص سقف الضريح فيحتمل أنّه كان هرمي الشكل[1]، بالنسبة للقسم الداخلي فقد استخدمت في بنائه حجارة ذات أشكال وأحجام مختلفة وتميز بخلوه من التوابيت أو الغرف الخاصة بالدفن، وكذا عدم توفره على أبواب أو فتحات تسمح بادخال موتى جدد أو تفضي إلى الواجهة الخارجية، مما دفع بعض الباحثين لاستبعاد كون البناء ضريحا خاصا بالدّفن بل يرجحون فرضية النصب التّذكاري الذي أراد من خلاله لوليوس أوربيكوس تخليد ذكرى أفراد أسرته المقربين وسط مقبرة كبيرة تابعة لأملاك اللوليين (Lollii)، ولعل ما يدعم هذه الفرضية استحالة موت جميع الأفراد المعنيين هنا دفعة واحدة[2]، (أنظر الصورة 14).

رابعا– العمارة ذات الطابع العسكري:

يشير الباحثون الذين تابعوا مجريات التنقيبات في موقع تيديس مثل أندري برثيي وقبله بكثير الكولونيل برونو (Brunon) بأنها كانت محاطة بسور قوي يمثل حدود المدينة خلال الفترة الرومانية بوصفه أحد الوسائل الدفاعية التي تحمي المدينة من هجمات الأعداء ولا تزال معالم هذا السور واضحة[3]، حيث يطوق المدينة من كل الجهات ويقسم الهضبة إلى قسمين متساويين، قسم غربي وقسم شرقي حيث أقيمت المدينة الرومانية، إضافة إلى الحصون التي أقيمت في مناطق مرتفعة استعملت كأبراج للمراقبة عن بعد[4].

الخاتمة:

من خلال ما تم استعراضه عن التركيبة العمرانية لموقع تيديس الأثري يمكن الاستخلاص بأن هذا الجبل الوعر والمعزول قد أمكن للإنسان تحويله إلى مجال حضري متميّز، عن طريق اخضاعه لأنماط بناء وتشييد تنوعت بتنوع المراحل الحضارية التي تعاقبت على هذا الموقع، لكن والحق يقال بأن النمط العمراني الروماني يبقى النموذج الأفضل تمثيلا ووضوحا ومقاومة لعوامل الزمن، حيث يلاحظ بقاء أغلب عناصره في حالة حفظ جيدة، فرغم صعوبة البناء فوق هضبة تحيط بها المنحدرات والشعاب فقد كانت حاجة الرومان الملحة لاستغلال المكان كحصن دفاعي ومركز مراقبة من جهة، ومخزن تمويني للمحاصيل وسوق تجاري وورشة حرفية من جهة أخرى، قد جعلتهم ينجحون في تطبيق منهجهم العمراني المعروف لكن بشكل استثنائي تمازجت فيه براعة الرومان المعمارية مع طبيعة الموقع الفريدة والتي أنتجت هذا المشهد العمراني الرابط بين تحدي الطبيعة واستجابة الانسان.

1-C. Cabon, Une visite au tombeau de Lollius, dans R.S.A.C., T.48, 1914, pp. 186-187 ;
2-C. Cabon, op. cit., pp. 188-190 ; L.Leclerc,Monument des Lollius,in,R.S.A.C.,t.9,1864,pp.156-157
3- C. Brunon, op. cit., p. 327.
4 -A. Berthier, Tiddis, 1991, p. 14.

وعليه فإنّه وبالرّغم من كلّ الصعوبات والعراقيل المطروحة على الأرض فقد أمكن مراعاة المنهج الروماني بشكل لا مثيل له في كلّ المدن الرومانية كان لها طابع التفرد في كل عنصر من مكوناتها، فكان الحلّ لمشكل انعدام السّطح المستوي المناسب لتنفيذ النسيج العمراني هو نحت الصخور وتهيئتها على شكل مصاطب ومدرجات، فتم بذلك تحويل هذا الجبل إلى طوابق متناضدة كانت كفضاءات جهزت للبناء، وزودت المدينة بساحة عامة فكانت ميزتها أنها اعتبرت أصغر فوروم بني في كل مدن المقاطعات الافريقية، وطريق الكاردو الذي كان متعرجا، وطريق الديكومانوس الذي كان على شكل سلم حجري ضخم، كما أن استحالة التقاء هذين الطرقين الرئيسيين وتقاطعهما المفترض عند ساحة الفوروم حسب المبدأ الروماني قد رمز له ببناء قوسين متقابلين بجوار هذا الأخير.

ومن جهة أخرى فقد كان الحل لمشكل ضيق المساحة صغر حجم كل المباني مراعاة لضيق المساحة المستوية المخصصة للبناء: صغر الفوروم، صغر الحمامات العمومية، صغر مساكن الأفراد..، بل ويتم استغلال في كثير من الأحيان نفس البناء لأغراض متعددة على غرار قاعات الفوروم الثلاث التي استخدمت كمحكمة، وكمعبد، ومجلس ديكوريين..، واستغلت المغارات الطبيعية كمعابد للالهة، وحفرت الواجهات الصخرية لتكون الواجهة الخلفية للمنازل، وكان الحل الوحيد لمشكلة ندرة المياه هو الاعتماد على التقاط مياه الأمطار، إذ لم يكن يخلو منزل أو معبد أو أي بناء آخر من الصهاريج والأحواض الخاصة بتجميع المياه المتساقطة من الأسقف المغطاة بالقرميد، اضافة لتهيئة السواقي المحفورة في الأرضية الصخرية لإيصال الماء لتلك الأحواض والصهاريج.

إذن فمدينة الصّخر العتيق تيديس التوأم الطبيعي في الجغرافيا والتاريخ للصخر العتيق الآخر سيرتا قد شكلت احدى الضواحي 18 المحيطة بها، باعتبارها كاستيلوم تنتصب في مدخل شعاب الخنق شمال جبل شطابة، فكانت احدى الكاستيلا القائمة في نطاق جبلي أسند لها دور عسكري في غاية الأهمية تمثل في ضمان المراقبة الدائمة للشعاب والممرات الجبلية الشمالية لاقليم سيرتا حيث كان عليها حراسة خوانق وشعاب واد الرمال المقابلة لجبل شطابة، وكذا مراقبة طرق ومسالك عبور المواد الغذائية من مناطق الانتاج بالجهات الداخلية والمتجهة نحو الموانئ، وذلك في اطار مهمة تامين سلامة المجال الاقليمي المحيط بعاصمة الكونفدرالية السيرتية سيرتا اقتصاديا وعسكريا.[1]

وعليه يمكن القول بأن النهضة العمرانية التي شهدتها تيديس خلال القرن 2م لا سيما في عهد كل من الامبراطور هادريان وانطونين التقي هي مدينة بدون أدنى شك لمكانتها العسكرية وإمكانياتها الاقتصادية

1 -J.Gascou, Pagus et castellum dans la confédération citéenne,in, A.A.,t.19, 1983, pp. 175-207 ; J.Alquier et P.Alquier, Le Chettaba et les grottes à inscriptions latines du Chettaba et du Taya, éd. Paulette, Constantine,1929,p.1-8

كمركز حرفي وسوق تجاري وتأثيرها الديني لكثرة معابدها، ولكونها مسقط رأس لشخصيات ناجحة حققت شهرة واسعة على مستوى الامبراطورية، كان في مقدمتها شخصية لوليوس أوربيكوس الذي منح لقب الحامي لكاستيلوم تيديتانوروم ممّا يقود للاعتقاد بأن تلك النهضة العمرانية التي شهدتها هذه الضاحية، وأدت الى تحولها لمدينة منظمة وفق النمط الروماني يعود الفضل الأول فيه الى جهود القنصل اوربيكوس المقرب من الامبراطور هادريان ثم من الامبراطور انطونين التقي حين اصبح حاكما لمدينة روما فيما بين سنة 150-169م، ويكون نفوذه القوي داخل البلاط الامبراطوري هو أصل ترقية تيديس الى صنف بلدية من طرف هيئة التريومفيرا المسيرة لمستعمرة سيرتا ، وطبقا لهذه الترقية الادارية فقد زودت تيديس بمجلس بلدي (الأوردو ordo) يشرف على ادارته أعضاؤه الديكوريين، وكذا خزينة عمومية (res publica) وأراضي عامة (ager publicus).[1]

ولعلّ ما يؤيد ذلك أن أول تمثال انتصب على ساحة الفوروم وبقي هناك وحيدا لمدة ربع قرن من الزمان، كان يخص شخصية لوليوس أوربيكوس مثلما تشير إلى ذلك نقيشة تمثاله المؤرخة فيما بين سنة 136 و138م، وهي نفس الفترة التي تم فيها تأريخ بناء باب مدخل المدينة المزود بقوس، لأن تيديس تبقى بالنسبة لأوربيكوس المقيم بجوار الأباطرة بروما الصلة التي تربطه ببقية أفراد عائلته وأقاربه المقيمين بالمنطقة، والذين كانوا يشرفون على إدارة أملاك عقارية واسعة كان لها إسهام معتبر في تغطية حصة إقليم سيرتا من المؤن اللازم توفيرها لصالح جهاز الأنونة، وهو الأمر الذي سهل لأوربيكوس الارتقاء في أهم المناصب خلال زمن قصير وفتح أمامه أبواب البلاط الامبراطوري واكتسابه ثقة الأباطرة[2]، وعليه فقد كان حرصه على متابعة ودفع وتيرة التطور العمراني والاداري لتيديس ليس من قبيل الود الذي يكنه لموطنه ومسقط رأسه والاعتراف بالجميل لأهله فحسب، ولكن لأن ضمان حظوته لدى الأباطرة له ولخلفائه من أفراد أسرته من بعده، كان مرهونا باستمرار تقديم الخدمات الاقتصادية والأمنية التي تصب في صالح الامبراطورية على مستوى اقليم الكونفدرالية، والذي لا يتحقّق إلاّ باستمرار ومواصلة إضفاء الطّابع الروماني على مدنه وضواحيه وحصونه وقلاعه في كل تفاصيل الحياة اليومية سواء في ميدان العمران أو الاقتصاد أو الدين أو الإدارة وكذا النّواحي والاجتماعية وغيرها....

1-A Berthier,Tiddis cité antique…,p.76 ; Ch.Badel,Les sénateurs africains,in Questions d'histoire,L'Afrique romaine,de 69 à 439,ouvrage collectif coordonné par B.Cabouret,éd.du temps,Nantes,2005,p.307-308.

2- A Berthier,Tiddis cité antique…, p. 452-453; A.F.Baroni, Les propriétés sénatoriales en Numidie sous le Haut-Empire,in Epigrafia e ordine senatorio, T.10, 2014, p.390.

ملاحق البحث:

صورة 1- باب المدينة الكبير

صورة 2- طريق الكاردو

صورة 3- الديكومانوس

صورة 4- ساحة الفوروم

صورة 5- قوس الفوروم

صورة 6- خزان المياه الكبير

صورة 7- الحمامات العمومية

صورة 8- معبد ساتورن بقمة الهضبة

صورة 9- معبد ميثرا

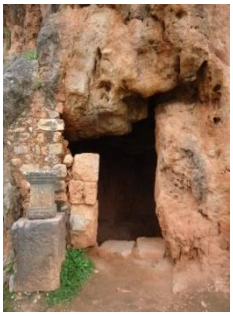

صورة 10- معبد فييستا

صورة 11– معبد كريريس

صورة 12–الكنيسة المطلة على الكاردو

صورة 13–بيت عماد مسيحي

صورة 14–ضريح عائلة اللوليين

البيبليوغرافيا:

- A.A.A: Atlas Archéologique de l'Algérie, Gsell St., Alger, 1911.
- Alquier (J.) et (P.), Le Chettaba et les grottes à inscriptions latines du Chettaba et du Taya, éd. Paulette, Constantine, 1929.
- Badel (Ch.), Les sénateurs africains, in Questions d'histoire, L'Afrique romaine, de 69 à 439, ouvrage collectif coordonné par B.Cabouret, éd. du temps, Nantes, 2005.
- Baroni (A.F), Les propriétés sénatoriales en Numidie sous le Haut-Empire ,in Epigrafia e ordine senatorio, T. 10, 2014.
- Basset (R.), Notes de l'exicographie bérbere, in J.A. (Novembre -décembre), 1887.
- Berthier (A.), Tiddis, R.S.A.C., T. LXV, 1942.
- _____, Trois inscriptions de Tiddis, R.Af., T. 89, 1945.
- _____, Tiddis, documents algériens, synthèses de l'activité algérienne, 1949.
- _____, Tiddis antique Castellum Tidditamorum, Alger, 1951.
- _____, Tiddis, haut-lieu de l'Algérie antique, in Archéologia, n° 42 (septembre - Octobre), 1971.
- _____, Tiddis antique Castellum Tidditamorum, Alger, 1991.
- _____, Tiddis cité antique de Numidie, éd .Boccard, Paris, 2000.
- Berthier (A.) et Leglay (M.), Le sanctuaire du sommet et les stèles à Baal – saturne de Tiddis, Libyca, T. VI, 1958.
- Berthier (A.) et Charlier (R), Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine (textes et planches) Arts et métiers graphiques, Paris, 1955.
- Brunon (C.), Notice sur les dolmens et tumulus de l'Algérie, R.S.A.C., T.18, 1876-1877.
- Cabon (Ch.), Une visite au tombeau de Lollius, R.S.A.C., T. 48, 1914.
- Cherbonneau (A.), Rapport sur les fouilles du Kreneg (Tiddis et Calda) R.S.A.C., T. 7, 1863.
- CIL: Corpus Inscriptionum Latinarum.
- Creully (C), Deux villes numido-romaines, R.S.A.C., T.1, 1853.
- _____, Note sur les poteries des conduites d'eau romaines à Constantine, R.S.A.C., T. I, 1853.
- Fevrier (P.A.), La recherche archéologique en Algérie et l'histoire ancienne du Maghreb, in R.H.C.M., T. 8, 1968.
- Gascou (J.),Pagus et Castellum dans la confédération cirtéenne, A.A., T. 19,1983.
- Gsell (S.), Les monuments antiques de l'Algérie, T. 2, Paris, 1901.
- Heurgon (J.), L'œuvre archéologique française en Algérie, dans, Bulletin de l'Association Guilaume Budé, Lettres d'Humanité, T. XV, 1956.
- IL. Alg.: Inscriptions Latines de l'Algérie.

- Laily (P.A.) et Tayeb (H.), Disques de verre polychromes du musée de Constantine, R.S.A.C, T. 71, 1969-1971.
- Lassus (J.), Trois villes romaine, Timgad, Djemila, Tiddis, dans, la lumière des cités africaines, T. 1, Afrique du nord, 1956.
- _____, L'archéologie algérienne en 1955, Libyca, T. IV, 1956.
- _____, L'archéologie algérienne en 1956, Libyca, T.V, 1957.
- _____, L'archéologie algérienne en 1957, Libyca, T. VI, 1958.
- _____, L'archéologie algérienne en 1958, Libyca, T. VII, 1959
- _____, L'archéologie algérienne en 1959, Libyca, T. VIII, 1960.
- Leclerc (L.), Monument des Lollius, R.S.A.C., T. 9, 1864.
- Leglay (M), L'archéologie Algérienne en 1953, dans, libyca, T .II, 1954.
- Leschi (L), Inscriptions du Castellum Tidditanoum, R.S.A.C., t.65, 1942.
-_____, L'Algérie antique, arts et métiers graphiques, Paris, 1952.
-_____, Une inscription du Castellum Tidditanorum, études d'épigraphie d'archéologie et d'histoire africaines, Arts et Métiers graphiques, 1957.
- Marchand (J.), Inscriptions latines trouvées au Keneg, dans, R.S.A.C., T. II, 1954-1955.
- Piard (G.Ch.), La civilisation de l'Afrique romaine, Paris, 1959.
- Renier (L.), Inscriptions romaines de l'Algerie,Paris,1858.
- Troussel (M.), Le trésor monétaire de Tiddis, R.S.A.C., T. 66, 1948.